للحق كنسبة جسدك لعينك فكما ان جسدك صورة عينك لذلك عينك صورة الحق وهو ظاهر
في عينك كما ان عينك ظاهرة في جسدك ومثولك اي الحق لعينك كالروح المدبر لصورة جسدك
وقد مر بيان هذا المعنى في المقدمات من ان الحق يرب الاعيان باسمائه وصفاته ويرب الارواح
بالاعيان والاجساد بالارواح لكون ربوبيته في جميع المراتب ظاهرة والحد يشمل الظاهر والباطن
منك فان الصورة الباقية اذا زال عنها الروح المدبر لها لم يبق انسانا ولكن يقال فيها انها صورة تشبه
صورة الانسان فلا فرق بينها وبين صورة من خشب او حجارة ولا ينطلق عليها اسم الانسان الا بالمجاز
لا بالحقيقة اي التعريف يشمل الظاهر منك وهو بدنك لانك معرف بالحيوان الناطق والحيوان الا بدنك
اذ هو جسم نامي حساس متحرك بالارادة والباطن ايضا اذ هو روحك ونفسك المعبر عنها بالناطق
ولا يسمى ذلك البدن انسانا بالحقيقة الا عند كونه حيا ذا روح ونفس واما عند كونه ميتا
لا يسمى انسانا الا بالمجاز باعتبار ما كان اذ لا يصدق عليه انه حيوان ناطق فلا فرق بين الصورة
الانسانية حينئذ وبين صورة من حيث الجمادية والغرض ان الانسان انما هو انسان بالروح
وروحه في الحقيقة هو الحق لانه روح الارواح كلها فلو تفرض مفارقة الحق منه لا
يبقى الانسان انسانا ولذلك عقبه بقوله وصورة العالم لا يمكن زوال الحق عنها اصلا
لانه بلا حق عدم محض فكيف يمكن لها البقاء مع زوال الحق عنها ولا ينبغي ان يتوهم منه انه قايل
بتقدم الدنيا من ان الحق قديم فيكون صورته قديمة لان مراده عدم انفكاك الحق عن صور العالم
اذا كانت موجودة والصور الدنياوية متبدلة بالصور الاخراوية وهي الصورة الباقية للعالم
ابدا كما كانت في العلم ازلا فحد الالوهية له بالحقيقة لا بالمجاز كما هو الانسان اذا كان
حيا وفي بعض النسخ فحد الالوهة والالوهة اسم للمرتبة الالهية فقط والالوهية اسم تلك
المرتبة مع ملاحظة نسبة الذات اليها والعبودية والالهية اسم لنسبة الذات اليها وهذه المرتبة
لا بد لها طالبة للمالوه وليس ذلك الا العالم ولما ذكر ان صور العالم لا يمكن زوال الحق
عنها لانه روحها وذكر ايضا ان العالم صورته واسمه الظاهر ونسبته الى العالم نسبة الروح
المدبر للصورة انتج ان حد الالوهية له اي للحق بالحقيقة لا بالمجاز كما ان حد الانسان اذا كان
حيا له بالحقيقة فان الصورة والروح المدبر لها حاصل دائما والضمير في قوله كما هو عايد الى
الحد المذكور في قوله ويشمل الظاهر والباطن اي كما ان الحد حد بالحقيقة للانسان اذا كان
حيا ولا يتوهم ان هذا الكلام يناقض قوله فحد الحق محال لان الحد هنا للمرتبة باعتبار الحق
والعالم لا للحق من حيث ذاته وكما ان ظاهر صورة الانسان تثني بلسانها على روحها ونفسها
والمدبر لها كذلك جعل الله صور العالم تسبح بحمده لا نفقه تسبيحهم لانا لا نحيط بما في العالم من الصور
ذلك

اي كما ان ظاهر الانسان تثني على نفسه وروحه الذي يربه ويدبره بلسان صورته وقواها
الجسمانية والروحانية لذلك ظاهر من الانسان والحيوان والنبات والجماد وغيرها تثني
بالسنتهم والسنة قواهم الروحانية والجسمانية على روحه الحقيقي الذي هو الحق ويسبحه
وينزهه عن النقايص اللازمة اللاحقة بهم ولكن لا نفقه ذلك التسبيح والتنزيه
الا من نور باطنه بنور الايمان اولا ثم الايقان ثانيا ثم العيان ثالثا ثم يجد نفسه وروحه
ساريا في عين كل مرتبة وحقيقة كل موجود حالا لا علما وشهودا فقط كشفا ان الحق
فيها فيدرك تسبيح الموجودات بذلك النور ويسمعه كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ولقد
كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وورد المؤذن له يشهد له مدى صوته من رطب ويابس
وقال امير المومنين كرم الله وجهه كنت مع رسول الله صلعم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها
فما استقبله شجر ولا حجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله وامثاله كثيرة في الاحاديث
الصحيحة وقال الشيخ رضي في اخر الباب الثاني عشر من الفتوحات فان المسمى بالنبات والجماد
عندنا لهم ارواح بطنت عن ادراك غير اهل الكشف اياها في العادة فلا يحس بها مثل ما يحسها
من الحيوان فالكل عند اهل الكشف حيوان ناطق بل حي ناطق غير ان هذا المزاج الخاص يسمى انسانا لا غير
ونحن زدنا مع الايمان بالاخبار الكشف فقد سمعنا الاحجار يذكر الله رؤية عين بلسان
نطق تسمعه اذاننا منها وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل انسان وقال
في موضع اخر منه وليس هذا التسبيح بلسان الحال كما يقوله اهل النظر ممن لا كشف له هذا
شان من تحقق بالمراتب الثلث الاول واما صاحب مقام الرابع فهو مسبح لربه بلسان تلك الحقايق وحامد
له في تلك المراتب فهو العبد التام لله يعبده في كل موطن ومقام عبادة جميع العالم ويحمده
حمدهم ويرى جميع ما يراه بالبصر والبصيرة عند تحققه بمقام الجمادية ويسمع ما كان يسمع ويعقل
ما كان يعقل من غير خلل ونقصان وفي هذا المقام يطوى الزمان والمكان ويتصرف في جميع
الاكوان تصرف النفوس في الابدان ويظهر في الحالة الواحدة في مراتب الارواح النورانية
والنفوس القدسية الروحانية والاجسام الكثيفة الظلمانية ولهذه المرتبة اسرار اخر غامضة
حال الحرم كشفها فقوله لا نحيط بما في العالم من الصور تعليل عن لسان المحجوبين والمكاشفين
ايضا لان المكاشف لا يقدر على كشف تفاصيل الوجود باسرها ولا يعلم التسبيح كل منهم
على التعين الا ما شاء الله كما قال تع ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء اي لانا لا نحيط بما في
العالم من الصور النوعية التي هي الملكوت في الاجسام وهو الناطقة والمسبحة لا غير فالكل
السنة الحق ناطقة بالثناء على الحق ولذلك قال الحمد لله رب العالمين اي اليه يرجع عواقب الثناء فهو المثني

Copyright © King Saud University